

# الحياة الاجتماعية والاقتصادية

## في محافظة بيشة كما سمعت

### عنها ورأيها\* (\*)

أ. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي

- (\*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ،  
 لغيثان بن جريس (الطبعة الاولى) (الرياض: مطابع الحميضي ،  
 ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) الجزء الحادي والعشرون) ص ص ٢٨٩-٣١٤.

### ثالثاً: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في محافظة بيشة كما سمعت عنها وشاهدتها. بقلم أ. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي<sup>(١)</sup>.

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مقدمة.	٢٨٩
ثانياً:	الحياة الاجتماعية:	٢٩٠
	١- طبيعة المجتمع.	٢٩٠
	٢- العمارة بأنواعها.	٢٩٢
	٣- الأطعمة والأشربة.	٢٩٥
	٤- اللباس والزينة.	٢٩٧
	٥- بعض العادات والتقاليد والأعراف.	٢٩٩
	٦- الفنون الشعبية والألعاب الرياضية.	٣٠١
ثالثاً:	٧- اللهجات المحلية.	٣٠٣
	الحياة الاقتصادية.	٣٠٤
	١- الجمع والالتقاط.	٣٠٤
	٢- الرعي والصيد.	٣٠٥
	٣- الزراعة.	٣٠٧
رابعاً:	٤- بعض الصناعات اليدوية.	٣٠٩
	٥- التجارة.	٣٠٩
	الخاتمة (النتائج والتوصيات)	٣١٣

#### أولاً: مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد: تقع محافظة بيشة في الجزء الشمالي من الإقليم الجنوبي في المملكة العربية السعودية، وتعد من أكبر محافظات منطقة عسير، وفي هذا البحث سنلقي الضوء على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في محافظة بيشة خلال القرن الماضي والمعاصر أي من ثمانينات القرن الرابع عشر إلى أربعينيات القرن الخامس عشر الهجريين (١٢٨٠هـ/١٩٦٠م - ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) معتمدين بعد الله على السماع من كبار السن الذين عاصروناهم، وعلى المعاصرة والمشاهدة من قبل الباحث لكثير من تفاصيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية أثناء هذه الفترة التاريخية<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر سيرة محمد بن جرمان العواجي الأكلبي، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب: موسوعة تاريخية حضارية (ق١-١٥هـ/ ق٧-٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (الطبعة الثانية)، ج١٧، ص ٤٧. (ابن جريس).

(٢) التاريخ المعاصر مهم فترصد أحداثه في شتى الجوانب، وعلينا معاشر الباحثين أن ندرك أهمية هذا النوع من التاريخ زمنياً ومكانياً. وأنت أخي ابن جرمان ترصد هذه الصفحات عن التاريخ الاجتماعي

ولم نعتد كما كنا نفعل في الدراسات السابقة على الوثائق والمصادر المطبوعة، إلا فيما ندر كالأستشهاد برأي الهجري والهمداني على فصاحة سكان المنطقة. ولا ندعي الكمال في هذا العمل، أو الإحاطة والشمول بكل تفاصيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية في هذه الفترة التاريخية، لكن حسبنا أننا اجتهدنا ودوننا ما شاهدناه أو سمعنا عنه بعد التأكد من صحته، وتركنا الباب مفتوحاً من بعدنا لمن يريد أن يتوسع في هذا الموضوع أو يستكمل ما لم نستطع تدوينه، أو يصحح ما وقعنا فيه من خطأ غير مقصود. والله من وراء القصد<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: الحياة الاجتماعية:

### ١- طبيعة المجتمع:

إذا بحثنا عن التشكيل الاجتماعي عند سكان بيشة، نجد أن التنظيم القبلي هو الغالب على هذا المجتمع، فجميع السكان من عرب الجزيرة العربية، ينتمون إلى قبائل عربية أصلية، وهذه القبائل أغلبها متحدة فيما بينها تحت ما يسمى بالحلف القبلي ضد أي عدوان خارجي يأتي من خارج هذه القبائل، وكان لكل قبيلة كيانها الخاص وحدودها الجغرافية المتفق عليها مع القبيلة المجاورة لها<sup>(٢)</sup>.

أما مكونات المجتمع في محافظة بيشة فهي الأسرة والقبيلة. فالأسرة تعد النواة الأولى في بناء المجتمع وتكوينه، وعليها يعتمد المجتمع في نموه وزيادة أعداده، ولها نظام خاص ينظم شؤونها وعلاقة أفرادها مع بعضهم، ويقوم هذا النظام على الترابط والمحبة والألفة والاحترام المتبادل بين جميع أفراد الأسرة، ويعد رب الأسرة وكبيرها هو المسئول عن شؤونها ومرجع جميع قراراتها، وكان أفراد الأسرة الواحدة يعيشون في بيت واحد، والأولاد لا ينفصلون عن آبائهم، ولا يستقلون بسكن خاص، بل يبقون معهم ويقومون برعاية آبائهم وخدمتهم<sup>(٣)</sup>.

والاقتصادي في محافظة بيشة خلال العقود الستة الماضية، فذلك أمر محمود (وفقك الله)، لكن بلاد بيشة ذات تاريخ حضاري قديم، تستحق أن يكتب تاريخها في شتى الجوانب خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة والحديثة، أمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين في جامعة بيشة أو غيرها يخدمون هذا المكان والموضوع بالدراسات العلمية التوثيقية الجادة. (ابن جريس).

(١) أرجو أن يأتي بديك من يتخذ موضوعك لبنة رئيسية لإصدار عمل علمي أوسع وأعمق، وبلاد بيشة تستحق الخدمة الكبيرة في ميدان الدراسات العلمية الجادة الحيادية والمنصفة. (ابن جريس).

(٢) المتأمل في مجتمع محافظة بيشة اليوم يجد أن القبيلة مازالت صاحبة الهيمنة في عموم البلاد، إلا أنه يوجد في المجتمع البيشي عناصر أخرى عربية وأخرى غير عربية، وبعضهم يعيشون بشكل مؤقت ويشاركون في ممارسة الأعمال الحضارية المختلفة في عموم المحافظة. (ابن جريس).

(٣) أنت تتحدث عن تاريخ الأسرة في بيشة بل في عموم المملكة في الماضي إلى عهد قريب، لكن ما جرى على الأسر في العقدين أو الثلاثة الماضية خلاف ما ذكرت في رصدك. هذا أن تقوم أو باحث آخر بدراسة تاريخ الأسرة في بيشة أو منطقة عسير، أو بلاد السراوات وتهامة في الماضي والحاضر، وتذكر كيف كانت، وما جرى عليها من تحولات وتبدلات منذ بداية هذا القرن (١٥/هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). (ابن جريس).

أما القبيلة فإنها تتكون من عدد من الأسر والعشائر ولها قواعد ونظم تحكمها وتسير أمورها ويكون شيخ القبيلة هو المسئول عن قبيلته وصاحب الحل والعقد في جميع أمورها والمدافع عنها والمطالب بحقوقها، أمام الجهات الرسمية أو القبائل الأخرى، وكان قوله مسموعاً وأمره مطاعاً ولا يخالفه أحد من أفراد قبيلته، والنظام الهرمي لمسؤولي القبيلة يبدأ من شيخ شمل ثم شيخ القبيلة ثم النائب، ثم الأعيان<sup>(١)</sup>.

وكان الترابط والتعاون والتكاتف واضحاً على مستوى الأسرة والقبيلة، أما اليوم فإن المتأمل في واقع مجتمع سكان بيشة أو أي مجتمع آخر من المناطق المجاورة، يجد أن التغيرات الاجتماعية التي يعيشها العالم اليوم، قد ألقت بظلالها على المجتمع البيشي، وظهرت آثارها السلبية بارزة للعيان، فعلى مستوى القبيلة أصبح الترابط والتعاون بين أفراد القبيلة ضعيفاً وكثرت بينهم النزعات والخلافات، وضعفت سلطة شيخ القبيلة، وأصبحت صلاحياته محدودة، ولم يبق دوره كما كان في الماضي، أما على مستوى الأسرة، فإن كثيراً من الأسر لم تبق على ما كانت عليه من الترابط والتماسك والعيش تحت سقف واحد، فقد تباعدت مساكنها وتفرقت قلوبها وأفرادها، وكثرت بينها الصراعات، ودبت بينها الشحناء والقطيعة، بسبب الخلاف على حطام الدنيا الفانية، ولكثرة تدفق الأموال في أيدي الناس، وعدم حاجتهم لبعضهم. وهذا لا يعني التعميم فلا يزال الخير في الناس موجوداً، ولا تزال بعض الأسر محافظة على ترابطها الأسري<sup>(٢)</sup>.

ويلحظ أن ما تعيشه بلادنا من تقدم وتطور في وقتنا المعاصر، أدى إلى اعتماد كثير من سكان المحافظة في تيسير أعمالهم على الكثير من العناصر البشرية الوافدة من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية، وعلى الرغم من أنهم أسهموا في بناء الحياة الاقتصادية والتعليمية، إلا أن لهم بعض الآثار السلبية على الحياة الاجتماعية وعلى بعض القيم والعادات، خصوصاً عند فئة الشباب<sup>(٣)</sup>.

(١) من يدرس تاريخ القبيلة أو القبائل في بيشة أو في عموم السروات وتهامة فإنه سوف يجد الكثير من الوثائق والتحالفات التي تعكس شيئاً من تاريخها في الماضي، وكيف كانت حياتها السياسية والحضارية، وماذا جرى عليها بعد توحيد المملكة العربية السعودية. أمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ القبائل في بيشة أو منطقة عسير خلال القرون الماضية المتأخرة. (ابن جريس).

(٢) أشكرك يا أستاذ محمد أن ذكرت شيئاً من التغيرات التي جرت على الأسرة والقبيلة في العقود المتأخرة. ونحن بحاجة إلى دراسة موسعة تقارن بين تاريخ القبيلة والأسرة في الماضي والحاضر، ليس في محافظة بيشة بل في عموم مناطق المملكة العربية السعودية، وعلى الجامعات المحلية ومراكز بحوثها العلمية مسؤولية كبيرة تجاه هذا الجانب وغيره من التحولات التاريخية والحضارية التي حدثت خلال المئة عام الماضية. (ابن جريس).

(٣) أشرت إلى التنمية الحضارية التي تمر بها البلاد منذ عدة عقود، وأيضاً إلى دخول الكثير من الوافدين من بلدان عربية وغير عربية للعمل في مجالات اجتماعية واقتصادية عديدة. وأنت بهذا الطرح المختصر فتحت أبواباً كثيرة وخصبة لميدان الدراسة والتوثيق والتحليل، أمل أن نرى بعض الباحثين وطالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا فيعملون على هذه الموضوعات الجديرة بالرصد والدراسة. (ابن جريس).

## ٢. العمارة وأنواعها؛

الدارس لأوضاع العمارة والأبنية في محافظة بيشة يجد التنوع والاختلاف في طبيعة هذه الأبنية ونوعها ومادتها، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

## أ. العمارة القديمة؛

تشمل ما كان مادة بنائه من الطين والحجر، مثل المنازل الطينية والحجرية، والحصون والقلاع والمساجد القديمة. وتتميز هذه الأبنية بالقوة والمتانة، فلا يزال بعضها إلى اليوم على حالته الطبيعية، فمن يتجول اليوم في أنحاء محافظة بيشة يجد الكثير من هذه الأبنية قد تركها أصحابها خراباً تذروه الرياح، وبعضها قد هُدم وتم استبداله ببناء حديث، وبعضها تُرك وأهمل على حالته الأولى ولا يزال صامداً يقاوم عوامل التعرية والطبيعة، وبعضها أدخل في دائرة الآثار الرسمية وأعيد بناؤه وترميمه مثل: قرية البدور بالحازمي وقرية الفرع بتبالة، وقلعة بن شكان بالرقيطاء<sup>(١)</sup>، وإذا بحثنا عن تصميم البيوت القديمة في بيشة نجد أنها تبنى من الحجر الخالص، أو من الحجر والطين، وسقفها تسقف من الأخشاب وجريد النخل، وتختلف القصور عن البيوت في هيئتها ومساحتها وتفصيلها الداخلية والخارجية، وغالباً ما تكون لحاكم البلدة من قبل الدولة، أو لشيوخ القبائل، أو لأحد الأثرياء، ومن أهم القصور التي تمثل هذا النمط المعماري في محافظة بيشة قصر الثغر بتبالة، وقلعة الرقيطاء<sup>(٢)</sup>.

أما تصميم البيوت في محافظة بيشة فكان في غاية البساطة، حيث يحتوي على عدد من الغرف، يتكون من دور أو دورين حسب الحالة الاقتصادية لكل فرد، فالأغنياء تتكون بيوتهم من دور أو دورين أو أكثر، وبعضهم يضع الدور الأول مكاناً للحيوانات، ومخزناً للأعلاف والحبوب، أما الفقراء فتتكون بيوتهم من دور واحد، وفي الغالب يكون عدد غرفها قليلة ومساحتها ضيقة. وكانت العادة أن تبنى منازل القرية متجاورة وجدرانها متلاصقة، ثم تحاط بسور خارجي من جميع الجهات، وإذا جاء الظلام أقفلت أبواب هذا السور، وكذلك في حالة الخوف والحرب، قبل توحيد هذه البلاد على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل<sup>(٣)</sup>. وإذا تأملنا في هذه القرى والمنازل القديمة

(١) ما ذكرت من إهمال أو اندثار للقرى والمنازل والحصون القديمة في بيشة، هو الوضع نفسه السائد على جميع القرى والمستوطنات القديمة في السروات وتهامة، وحتى في عموم مناطق المملكة العربية السعودية. وهذا التراث العمراني جزء مهم من تاريخ البلاد خلال القرون الماضية، والواجب الحفاظ عليه بالرعاية والترميم والصيانة، وأهل البلاد ومؤسسات الدولة المعنية بهذا الشأن عليهم جميعاً مسؤولية كبيرة في الحفاظ على هذا الموروث التاريخي الحضاري. (ابن جريس).

(٢) نحن في حاجة ماسة إلى دراسة هذا التاريخ العمراني. والحفاظ عليه، حبذا أن تقوم جامعة بيشة بدعم من يدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب موسوعي مدعوم بالصور والوثائق التاريخية. (ابن جريس).

(٣) تجولت في بعض أجزاء محافظة بيشة عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) وشاهدت الكثير من القرى المهتمة

المبنية من الطين والحجر، فإننا نستنتج الآتي (١) جميع مواد البناء والأبواب والنوافذ مأخوذة من البيئة المحلية وغير مستوردة. (٢) في الغالب تكون منازلها صغيرة المساحة ضيقة الغرف، قليلة الارتفاع. (٣) الإضاءة كانت بدائية ومحدودة جداً، والأثاث المستخدم في البيوت في غاية البساطة، وكان أكثره مصنوعاً من البيئة المحلية. (٤) كانت جدرانها متلاصقة مع بعضها، فلا يوجد بينها ساحات فارغة، ولا شوارع واسعة، وإن وُجد فممرات ضيقة يستخدمها المارة أثناء التنقل بالأرجل أو الدواب بين منازل القرية. (٥) كأن لكل قرية من هذه القرى مسجد يتوسطها لإقامة صلاة الجمعة والجماعة، وفي الغالب يكون بداخلها بئر لسقاية أهل القرية، وإذا لم يوجد بداخلها بئر فإن الماء يجلب من خارج القرية على ظهور الناس والدواب<sup>(١)</sup>.

### (ب) العمارة الحديثة:

يقصد بها الأبنية المعتمدة على الإسمنت والخرسانة والحديد ومواد البناء الحديثة، وهذا النوع من العمارة هو السائد اليوم في محافظة بيشة، وفي مدن المملكة العربية السعودية ويمكن تقسيمه إلى عدة أنماط معمارية على النحو التالي:

#### ١- المباني السكنية الخاصة:

هي جميع البيوت والمنازل السكنية الحديثة في محافظة بيشة أو في القرى التابعة لها، حيث تتفاوت هذه المنازل في مساحاتها الداخلية والخارجية وارتفاعاتها فتتراوح من دور واحد إلى عدة أدوار، بالإضافة إلى الأحواش والملاحق الخاصة، وذلك حسب المكانة الاجتماعية والحالة الاقتصادية لكل شخص وهذا النوع من النمط المعماري من الصعب حصره أو إعطاء تفاصيل دقيقة عنه، نظراً لكثرة أنواعه وتصاميمه، واختلاف أفكار الناس وأذواقهم، وسرعة النمو العمراني والسكاني الذي تشهده المحافظة<sup>(٢)</sup>.

والمهجورة، وبعض القصور والمنازل الكبيرة المشيدة بالطين، وأحياناً بالطين والحجارة، وجميعها تعكس صفحات من تاريخ بيشة خلال العصور الماضية. أمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ هذه المحافظة منذ بداية العصر الحديث، فهي جديرة بذلك، ومن يكف على هذا المشروع العلمي فسوف يطلعنا على تاريخ عريق لهذه البلاد الماجدة. (ابن جريس).

(١) أشكر على إعطاء شرح مختصر للعمارة القديمة وبخاصة القرى والمنازل ومرافقها وخدماتها. وكنت أمل منك التوسع في هذا الموضوع الحضاري المهم الذي يعكس صورة من حياة الآباء والأجداد. وأمل أن يأتي في قادم الأيام من يتوسع في هذه الجزئية فيدرسها في هيئة كتاب أو رسالة علمية على محافظة بيشة، أو منطقة عسير، أو بلاد السروات وتهامة. (ابن جريس).

(٢) حدث هناك تدرج تاريخي في العمارة من الطين والحجر والقش إلى العمارة المسلحة، وهناك فترة قصيرة جمعت بين العمارة القديمة وشيئاً من الحديثة، ثم اختفى العمران القديم وطفى الحديث في كل الأرجاء. كنت أمل لودونت بعض الشيء عن هذه الحقبة ونوع العمارة المخلوطة من القديم وبيدات الحديث، وهذا ما عرفته وعاصرته في مواطن عديدة في عموم السروات وتهامة منذ تسعينيات القرن (١٤/٢٠م). (ابن جريس).

## ٢. المباني التجارية :

المباني التي روعي في تصميمها وموقعها الهدف التجاري. وتنتشر بكثرة في مدينة بيشة وقراها، ومن أمثلة ذلك: المجمعات التجارية الكبيرة والصغيرة، الورش الصناعية بأنواعها، معارض السيارات ووكالاتها<sup>(١)</sup>، والفنادق والشقق المفروشة<sup>(٢)</sup>، وقاعات وصلات الافراح<sup>(٣)</sup>، الاستراحات والشاليهات الصغيرة.

## ٣. المباني الدينية :

عمارة المساجد ومصليات الأعياد، والمقابر. والمتجول في أنحاء محافظة بيشة يجد عشرات المساجد والجوامع داخل المحافظة أو القرى التابعة لها، أو على الشوارع والطرق العامة، وتتفاوت المساجد في محافظة بيشة في أحجامها ومواقعها، وجودة بنائها وملاحقها الخاصة، ومن أكبر المساجد وأحدثها في مدينة بيشة جامع الدعوة، يقع في مخطط الموسى داخل مدينة بيشة، ومساحته كبيرة تتسع لعدد كثير من المصلين، ويحتوي على مصلى للنساء، ودورات مياه خارجية وأماكن للوضوء، ومبنى لمغسلة الأموات، وسكن خاص للمؤذن والإمام، ويحيط به مساحة كبيرة مخصصة مواقف لسيارات المصلين. ومن أقدم المساجد في بيشة جامع الربوع، ويقع وسط مدينة بيشة، تم هدمه وإعادة بنائه، ويحتوي على مصلى للنساء، وسكن للإمام، ودورات مياه خارجية، وأماكن للوضوء للنساء والرجال. ومباني المصليات، وهي مساحة من الأرض مسورة بسور يرتفع من متر إلى مترين، تقام فيها صلاة الأعياد، وصلاة الاستسقاء بدلا من المساجد والجوامع، تطبيقا لسنة الرسول ﷺ - في هذا الجانب، وتنتشر هذه المصليات في محافظة بيشة بكثرة حيث يوجد لكل قرية فيها جامع تقام فيه صلاة الجمعة ومصلى خاصا لصلاة العيدين والاستسقاء<sup>(٤)</sup>.

ومن أنواع المباني الدينية المقابر وتنتشر في أنحاء محافظة بيشة بكثرة، وتم تسويرها من قبل الدولة عن طريق البلديات، أو بعض المحسنين. وذلك بإحاطتها بسور دائري ارتفاعه من مترين إلى ثلاثة أمتار في أغلب المواقع، وذلك حفاظا على حرمة الأموات، وعدم العبث بقبورهم من قبل البشر أو الحيوانات. ويوجد داخل مدينة بيشة الكثير من المقابر القديمة والحديثة ومن أحدث مقابر بيشة وأوسعها: مقبرة (جميع).

(١) مثل وكالات تويوتا، ومازدا، ونيسان، وغيرها (ابن جرمان).

(٢) مثل: فنادق الزهرة، والخبتي، وبرج الأعمال، والأوفاز للوحدات السكنية، وغيرها كثير. (ابن جرمان).

(٣) تعد القاعات والاستراحات الصغيرة والكبيرة بالعشرات، ومن الصعب ذكرها كلها، ومن أمثلة ذلك في مدينة بيشة، قاعة ليلتي، وقاعة أماسي، وقصر السلام للاحتفالات. (ابن جرمان).

(٤) تاريخ المساجد والجوامع والمصليات القديمة والحديثة في بيشة أو منطقة عسير، وبلاد السروات وتهامة من الموضوعات الجديدة في بابها وتستحق أن يكتب تاريخها في عدد من الكتب والرسائل العلمية. (ابن جريس).

أما خارج مدينة بيشة فإن لكل قرية مقبرة خاصة بها<sup>(١)</sup>.

#### ٤. المباني الحكومية:

هي العمارة الرسمية الخاصة بالدولة، ومحافظة بيشة من أكبر المحافظات في عسير، وتوجد فيها جميع الدوائر الحكومية بمختلف أنواعها، والمدارس والكلية التقنية وجامعة بيشة، وهذه الدوائر والمؤسسات الحكومية يوجد لأكثرها مبان حكومية تختلف في هيئاتها وأشكالها وأحجامها وارتفاعاتها، فبعضها يتكون من دور واحد وأخرى من عدة أدوار، وأطول مبنى حكومي في بيشة هو مبنى المحكمة الشرعية حيث يبلغ ارتفاعه (٨) أدوار. ولو حاولنا أن نعقد مقارنة بين العمارة القديمة والعمارة الحديثة فإننا لا نجد وجها لهذه المقارنة فالعمارة الحديثة تختلف اختلافاً جذرياً عن العمارة القديمة، من حيث التصميم والتخطيط، والمساحة، والمواد المستخدمة في البناء، والأثاث والإضاءة، والجودة والإتقان، وكل هذه العوامل تصب في صالح العمارة الحديثة<sup>(٢)</sup>.

#### ٣. الأطعمة والأشربة:

كانت الأطعمة عند سكان محافظة بيشة قديماً تعتمد على ما تنتجه مزارعهم من التمر والبر والشعير والذرة، وبعض الخضار، ومما تنتجه حيواناتهم من السمن والحليب واللبن. أما اللحوم فكانت من حيوانات البيئة المحلية مثل: الجمال، والأبقار، والضأن والماعز، ولا توجد إلا في المناسبات الكبيرة كالأعياد والأفراح، أو حضور بعض الضيوف. ومن الأطعمة التي كانت تصنع من البر ومشتقاته وما زالت مستمرة إلى اليوم ما يلي: (أ) **المعصوبة**: تصنع من البر وتقدم مع السمن والعلس. (ب) **العصيدة**: تصنع من البر أو الشعير وتقدم مع السمن والعلس. (ج) **الخبز**: قطع دائرية تصنع من البر وتسمى أيضاً (القرصان). (د) **الرؤاكة**: مثل العصيدة إلا أنها خفيفة وتقدم لكبار السن وضعاف الهضم. (هـ) **المرقوق**: قطع صغيرة من الخبز كروية الشكل تصنع من البر وتقدم مع السمن. (و) **الدغابيس**: تصنع من البر، وتعبق وتقطع ثم توضع مع اللحم والمرق وهو يغلي على النار وتترك حتى تنضج ثم تقدم مع المرق للأكل. (ز) **الفتة**: تصنع من خبز

(١) الذاهب في أرجاء بلدان تهامة والسراة يلاحظ المقابر الصغير والكبيرة منتشرة في أنحاء البلاد، وقد أولتها الدولة عناية كبيرة فحرصت على تسويرها، وما زال هناك بعض المقابر القديمة في الأرياف وبعض الهضاب والأودية بدون تسوير. وتاريخ المقابر أيضاً موضوع جديد يستحق أن يدرس في أكثر من عمل علمي توثيقي. (ابن جريس).

(٢) أقول إن الدراسة المقارنة مطلوبة ومهمة حتى نطلع أبناءنا وحفدتنا على تاريخ الأوائل، وحضارة الحديثين من المعاصرين في ميدان البناء والعمارة. كما أن هناك أنواعاً من البناء والعمارة في محافظة بيشة، كنت أمل أن تذكر عنها بعض الشيء مثل: الآبار والعيون، والسدود، والمدرجات الزراعية، والكهوف، والأحمية، والدروب، والأسواق، والقلاع والحصون في بعض الجبال والهضاب والأودية. (ابن جريس).

البر أرغفة صغيرة جدا ورقيقة ثم تخلط بالمرق واللحم وتقدم للأكل<sup>(١)</sup>.

أما الأشربة قديماً: فهي كثيرة ومتنوعة ومنها: القهوة، والشاهي، والحليب، واللبن، والعسل، والسمن، والمرق، والرشوف: وهو شراب مصنوع من اللبن والدقيق، والمريسة: التمر المهروس أو المنقوع في الماء، ويضاف له أحياناً الفلفل والليمون. وكانت الأطعمة والأشربة قديماً من إنتاج البيئة المحلية، والقائمون على إعدادها النساء في البيوت، وكان في الحصول عليها الكثير من الصعوبات<sup>(٢)</sup>، أما اليوم فإن الأطعمة والأشربة جرى عليها الكثير من التغيرات، وكثرت أنواعها وأشكالها، وأصبح بعضها يصنع محلياً والبعض الآخر يستورد من خارج البلاد، والمتجول في أسواق محافظة بيشة وقراها يجد عشرات المحلات التجارية والأسواق الكبيرة والصغيرة التي تعرض على رفوفها عشرات الأصناف من الأطعمة والأشربة وسيجد عشرات المطاعم التي تقدم الأكلات الشعبية بأنواعها، واللحوم بأنواعها، والأرز والسلطات والحلويات والمشروبات الغازية، وهناك المطابخ والمطاعم الكبيرة، التي تقدم الأطعمة والولائم الخاصة بالمناسبات والأفراح، وتجهيزها ونقلها إلى مواقع الاحتفالات.

والقائمون على صنع الأطعمة والأشربة في جميع المطاعم والمطابخ في محافظة بيشة من العمالة الوافدة من مختلف البلدان ورغم قرارات السعودية، فإنني لم أر سعودياً يعمل بمهنة الطبخ في هذه المطاعم حتى الآن. ورغم انتشار المطاعم وكثرتها في أنحاء البلاد، إلا أنه مازال بعض الأسر، وسكان الأرياف يحافظون على إعداد الطعام في البيوت ولا يشتررون من المطاعم إلا نادراً<sup>(٣)</sup>.

لوحاولنا المقارنة بين الأطعمة والأشربة في الماضي وبين ما نشاهده في الوقت الحاضر فإن البون شاسع والفرق كبير فقد فتح الله على هذه البلاد في الوقت الحاضر

(١) لم تذكر كل الأطعمة التي عرفها البيشيون. فهناك أطعمة نباتية وحيوانية محلية كثيرة، فأرض بيشة زراعية ورعية، وممارسة الزراعة ورعي المواشي فيها قديمة ورئيسية في حياة الناس اليومية. كما أنها تقع على الطريق التجاري الرئيسي الذي يربط بين اليمن والحجاز، وكان يرد إلى أسواقها الكثير من المواد الغذائية التي تصدر إليها من المناطق المجاورة، أو من بلاد الحجاز واليمن. وتاريخ الصلات الحضارية لبيشة مع غيرها خلال عصور الإسلام المختلفة موضوع جديد في عنوانه يستحق أن يدرس في أكثر من كتاب أو رسالة علمية. (ابن جريس).

(٢) يا محمد أنا وأنت ومن هو في جيلنا أدركنا جميعاً صعوبة الحياة المعيشية في عموم السروات وتهامة، لضعف العائد المادي، وقلة الأطعمة والأشربة، وصعوبة الحصول عليها سواء كانت من المزارع، أو رعي المواشي، أو الصيد وغيرها. (ابن جريس).

(٣) تاريخ الطعام والشراب في بيشة وعموم منطقة عسير من الموضوعات الحضارية الجديدة الجديدة بالدراسة في أعمال علمية موسعة. وتمتاز بيشة بزراعة التمور، ورعي الإبل والمواشي، وهذان المصدران من أعمدة الاقتصاد الرئيسية للبشيين. والأشربة والأطعمة اليوم تختلف عن أطعمة وأشربة الماضي، وهذا العنوان المقارن يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية. (ابن جريس).

من الخيرات والنعم، ما لا يعد ولا يحصى، وتحسنت الحالة الاقتصادية عند جميع فئات المجتمع، وتوفرت جميع الأطعمة والأشربة في جميع الأسواق والمحلات التجارية، وأصبح الحصول عليها من أسهل الأمور بعد أن كان الأمر في غاية الصعوبة عند كثير من الناس، وأصبحت الفواكه والخضار الموسمية متوفرة طوال العام بسبب جلبها من المناطق الأخرى أو من خارج البلاد، والواجب علينا شكر الله على هذه النعم حتى لا تزول.

#### ٤. اللباس وأدوات الزينة:

كانت الملابس قديماً بسيطة نظراً لبساطة الحياة نفسها، ونظراً لضعف الحالة الاقتصادية عند كثير من سكان البلاد، كانت ملابس الرجال تختلف عن ملابس النساء ويمكن تفصيلها على النحو التالي:

#### أ- اللباس الخارجي للرجال والنساء:

كان الرجال يلبسون من ألوان الثياب الأبيض والملون، وغالباً ما تكون هذه الثياب مصنوعة محلياً من الأقمشة المستوردة، فيشتري الثوب ثم يقطع ويخيط بالأيدي، وهناك نوعان من الثياب: الأول: يسمى الحائلي: وطريقة تفصيله، يُقطع الثوب إلى أجزاء ثم يخيط على هيئة معينة بحيث يصبح فضفاضاً وأكمامه كاملة، وغير واسعة. والثاني: يسمى المذولق، وطريقة تفصيله يُقطع الثوب إلى أجزاء معينة ويخيط بطريقة تجعله واسعاً على الجسم وأكمامه واسعة جداً، ومقطوعة من الأسفل. أما لباس الرأس فهو (العمامة أو الفترة)، يضع الرجل على رأسه عمامة، وهي قطعة من القماش تلف حول الرأس، أو توضع فوقه وأطرافها نازلة إلى الأرض، وبعض الرجال يضع فوق العمامة أو (الفترة) عصابة أو (مَعَم) ويلفها بشكل دائري يشبه العقال المعروف حالياً.

كانت المرأة تلبس نوعين من الأقمشة المستوردة. النوع الأول: لونه أسود ويخيط محلياً، والثاني: لونه أبيض ويقطع أجزاءً ويخيط يدوياً، وتطرز أكمامه بخيوط الحرير الأحمر، وقبل أن يلبس يوضع في ماء الرمان حتى يتغير لونه إلى الأصفر، أو يوضع في ماء الورد ويسمى (الورس) فيتحول لونه إلى الأصفر. ولباس الرأس عند النساء، مقنعة سوداء توضع على الرأس وتسدل على الأمتان، وجزء منها يوضع لثاماً على الجزء الأسفل من الوجه، وبعضهن يلبسن ما يسمى (الرداء) أو الشرشف: وهو غطاء يلبس على الرأس ويسدل على الأكتاف والصدر والظهر، ومن أغطية الرأس الحديثة (الشيلة)، والبرقع: وهو يغطي الوجه ما عدا العينين، والنقاب: ويغطي ما تحت العينين.

أما لباس الأقدام فالأحذية، المصنوعة من جلود الحيوانات وبعضها يصنع محلياً، وأخرى تستورد من أسواق المدن الكبرى مثل مكة والمدينة، وكان أكثر الناس يمشي حافياً لعدم قدرته على شراء الأحذية. أما الأطفال فالبستهم بسيطة ومتواضعة، لا

تتجاوز قطعاً صغيرة من القماش تسمى (مهود) وهذا عند الولادة، أما إذا كبر الطفل فإنه يلبس ثوباً من القماش المحلي، ويضع على رأسه (القبع) الذي يصنع من القماش أو الصوف، ويلبسه الأطفال ذكورا وإناثا ليقيةهم من حرارة الشمس وبرد الشتاء، وفي الغالب لا يمتلكون الأحذية<sup>(١)</sup>.

### ب. اللباس الداخلي والزينة للرجال والنساء:

كان سكان بيشة قديماً كغيرهم من سكان المناطق المجاورة، لا يلبسون الملابس الداخلية، لعدم توفرها، أو لظروف الحالة الاقتصادية، لكن بعد منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م). ظهر بعض التحسن على الأوضاع المالية خصوصاً في المدن الكبرى، فأصبحت الملابس الداخلية متوفرة في الأسواق، وصار هناك من يجلب هذه الملابس ويصدرها إلى الأسواق الصغيرة. أما الزينة فكانت أيضاً محدودة وقليلة جداً، لبساطة الحياة وانشغال الناس بالضروريات، لكن هناك بعض المناسبات التي تتطلب التجميل والتزين وإظهار ما لديهم من أدوات الزينة في الأفراح والأعراس، والأعياد، فالرجال يتزينون بلبس الثياب الجديدة، ولبس السلاح كالسيوف والخناجر والبنادق والمحازم المليئة بالرصاص. ويقوم بعض كبار السن، بصنع لحاهم بالحناء والزعفران.

أما النساء فإنهن أكثر تزيناً من الرجال، وغالبية زينتهن من الحلي والمجوهرات والأحزمة، ويضعن الكحل في عيونهن، والحناء في كفوفهم وأرجلهن، ويغسلن رؤوسهن بالماء والسدر والمحب، ويتطيبن بالبخور والمسك وبعض النباتات العطرية، ويلبسن العصائب فوق رؤوسهن مثل: المرسن، وهو عصابة مصنوعة من الفضة، والقاط: خيوط حمراء منقوشة نقشا جميلاً توضع على الرأس، ويحتزمن في أوساطهن بالأحزمة، ويلبسن في أيديهن الحجول الفضية، وبعض الخرز المسمى بالظفار، وبعض الخواتم من الذهب والفضة، ويتقلدن القلائد في نحورهن مثل: الداح وهو خرز منظوم يوضع في العنق وينزل في النحر، وبعض القلائد الذهبية، كما يضعن الأزمة في أنوفهن والقرض في آذانهن، وكانوا يحصلون على العطور من أنواع النبات العطرية في بلادهم، بالإضافة

(١) يا محمد أجمت حديثك عن أبسة البدن الخارجي عند الرجال والنساء والأطفال. وبلاد بيشة جمعت بين حياة الحاضرة والبادية، كما أنها من المحطات التجارية المهمة التي لها صلات جيدة مع الحجاز واليمن وحتى بلاد نجد في العصر الحديث. ومن ثم فالأليسة وأدوات الزينة في هذه الناحية من الموضوعات الحضارية المهمة، ولها ذكر في المصادر والمراجع، وإن عدت إلى الوثائق الاقتصادية وبخاصة التجارية فسوف تجد عنها تفصيلات جيدة وجديدة. وجمع مادة هذا الموضوع من الرواة والمشاهدات والمقابلات خلال المئة سنة الماضية لن يكون صعباً أبداً، أمل أن نرى إحدى طالباتنا أو أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا في جامعتي الملك خالد أو بيشة يدرس تاريخ الزينة واللباس في بيشة أو في عسير خلال القرنين الماضيين (١٣٤٠هـ/١٩٠١م). وهو موضوع جديد يستحق البسط في أكثر من بحث أو رسالة. (ابن جريس).

إلى بعض العطور المستوردة من الخارج، التي توجد في أسواق المدن الكبرى مثل: مكة والمدينة والطائف، وكانوا يحافظون على نظافة الفم وتنظيف الأسنان باستخدام مسواك الأراك أو البشام.

ومنذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية القرن (١٥هـ/٢١م) تطورت أنواع الألبسة والزينة وتغيرت تغيير كبيراً حتى أصبح من الصعب حصرها أو ذكر أنواعها. والمتجول في أسواق محافظة بيشة يشاهد عشرات المحلات التجارية ودكاكين الخياطة الخاصة بالرجال، وهذه المحلات تعرض عشرات الألوان والأنواع من الأقمشة ومن الثياب الرجالية والغتر والملابس الداخلية والأكوات والمشالح، والأحذية والجزمات وغيرها من الأنواع والأصناف سواءً كانت مصنوعة محلياً أو مستوردة من خارج المملكة.

أما ملابس النساء والأطفال ومحلات الزينة، فهي الأكثر عدداً وانتشاراً في أرجاء المحافظة، فيوجد عشرات الأسواق والمولات<sup>(١)</sup>، التي تحتوي على آلاف الألبسة، والأقمشة، ومثلها محلات الزينة والعطور والمساحيق والمكياج، وأسواق الذهب والمجوهرات، وجميع هذه الألبسة التي تعرض في هذه الأسواق مستوردة من الخارج، وبعضها موديلات وماركات عالمية. وأسعارها متدرجة من الغالي إلى المتوسط إلى الرخيص. وأكثرها لا يناسب المرأة المسلمة التي تشد الستر والحشمة، لأنها إما ضيقة أو شفافة أو قصيرة، لكن بفضل الله ما زالت المرأة في محافظة بيشة محافظة على لباسها الشرعي، ولا تمشي في الأسواق إلا بحجابها وعباءتها<sup>(٢)</sup>.

### ٥. بعض العادات والتقاليد والأعراف:

عرفت محافظة بيشة الكثير من العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية مثل: عادات الأفراح، والزواج، والمآتم، والتعاون والتكافل، والكرم واستقبال الضيوف وتوديعهم، والشجاعة وحفظ الجوار، والأحلاف القبلية، وبعض الأعراف والقواعد التي تنظم شؤون الأسرة وشؤون القبيلة<sup>(٣)</sup>. وإذا قارنا ما سمعنا وعرفنا من عادات وتقاليد

(١) سنذكر نماذج من هذه الأسواق لاحقاً. (ابن جرمان).

(٢) شكراً لك يا أستاذ محمد أن دونت معلومات مختصر في عدة محاور عديدة لها علاقة باللباس عند الرجال والنساء والأطفال، وكذلك بعض أدوات الزينة. وكنت أتمنى أنك أسهبت في هذا الموضوع الحضاري المهم، وفصلت الحديث عن أسماء الألبسة والأدوات والأسماء الخاصة بالزينة التي بعضها عربية صرفة وأخرى جاءت مع ثقافات ولغات مستوردة. أرجو أن نرى في قادم الأيام من بنات أو أبناء بيشة الباحثين من يدرس موضوع الزينة والألبسة دراسة تفصيلية مدعومة بالصور الفوتوغرافية، ويستفيد من المصادر والمراجع والوثائق والمذكرات التي لها علاقة بهذا الميدان. للمزيد عن اللباس والزينة في منطقة عسير، انظر، غيثان بن جريس. عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١٤٠٠-١٤٠١هـ/١٦٨٨-١٩٩٤م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٧٢-٦٥. (ابن جريس).

(٣) جميع هذه العادات والأعراف المذكورة في المتن من الأنماط الرئيسية في حياة الناس قديماً، ويوجد عنها الكثير من الوثائق غير المنشورة، وبعضها عند الأسر والأفراد، وأخرى عند شيوخ القبائل وفي أراشيف بعض

وأعراف قديمة في محافظة بيشة بما نشاهده في الوقت الحاضر من هذه العادات والتقاليد فإننا نستطيع الخروج بالانطباعات التالية:

١. مازالت بعض عادات الزواج والأعياد والمآتم تمارس عند سكان محافظة بيشة إلا أنه جرى عليها الكثير من التغييرات، فمثلاً عادات الزواج كانت قديماً في غاية البساطة، وتكاليها وترتيباتها قليلة ومحدودة، أما اليوم فإن المهور صارت باهظة والهدايا التي تصاحب الزواج متعددة وكثيرة، والأماكن الخاصة بالزواج أصبحت في القاعات وقصور الأفراح، بدلاً من البيوت، والمدعوون لحضور الزواج في الماضي يقتصرون على أقارب الزوج والزوجة فقط، أما اليوم فالمدعوون للزواج شريحة كبيرة من المجتمع، تضم الجماعة والأصدقاء والزملاء من الجنسين، وهذا أدى إلى الإسراف والمبالغة في موائد الأكل والشراب<sup>(١)</sup>، خصوصاً عند النساء فإنهن لا يكتفين بالولائم والفواكه والمشروبات الأساسية في وجبة الزواج بل يقمن بإعداد طاولات خاصة بالمعجنات والكيكات والمشروبات الطازجة، وفي النهاية يرمى أكثرها. أما عادات الأعياد فلا زالت موجودة، ولكنها محدودة وليست كما كانت في الماضي، فقد فقدت البهجة والفرحة التي كانت تصاحب الأعياد عند الكبار والصغار، وضعفت الزيارات، وقل التواصل بين الأقارب والجيران. أما عادات المآتم فهي زالت موجودة كما كانت في الماضي، غير أن هناك بعض الأسر أصبحت تمنع إقامة بعض الولائم في بيت الميت، ويكتفون بالوجبات الخفيفة التي يحضرها بعض الجيران أو بعض المعزين من خارج قرابة الميت<sup>(٢)</sup>.

٢. أما عادات التكافل الاجتماعي فمزال بعضها موجوداً لكن ليس كما كانت عند الأوائل، وبعضها تلاشى تماماً، بسبب كثرة الأموال والرفاهية التي يعيشها المجتمع، والتباعد بين الأسر والعشائر في المنازل والديار، بالإضافة إلى ظهور الأجيال الناشئة التي تعيش حياة الخوف والفقر ولم تدرك أهمية عادات التكافل الاجتماعي التي كان يحافظ عليها الآباء والأجداد<sup>(٣)</sup>.

٣. أما عادات الكرم واستقبال الضيوف وتوديعهم، والشجاعة وحفظ الجوار، فهي من عادات العربي التي لا يتخلى عنها في أي زمان أو مكان، أما بعض

المؤسسات الإدارية مثل المحافظات (الإمارات سابقاً) والمحاكم وغيرها. كما أن هناك بعض كبار السن الذين عاصروها ومارسوها، وهي تستحق أن تجمع من هذه المصادر وتوثق وتشر. (ابن جريس).

(١) حضرنا الكثير من المناسبات الخاصة بالزواج، ولاحظنا الإسراف والتبذير في موائد الأكل والشراب، وبعضها يرمى في براميل القمامة. (ابن جريس).

(٢) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يعكف على دراسة مقارنة لعادات الزواج، والأعياد، والمآتم قديماً وحديثاً. (ابن جريس).

(٣) عند الباحث الكثير من الوثائق التي تقيد في دراسة التعاون والتكافل قديماً، حبذا أن يقوم باحث جاد بالحصول على نسخة منها ودراستها في عمل علمي موثق. (ابن جريس).

العادات القبلية مثل: عادة إعطاء الوجه والخوة والخواوة والدخيل فقد تلاشت وتغيرت وأن وجد بعضها مثل: إعطاء الوجه والدخيل، فعلى نطاق ضيق، وذلك بسبب الأمن والاستقرار الذي تشهد المملكة بعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز رحمه الله<sup>(١)</sup>.

## ٦. الفنون الشعبية والألعاب الرياضية:

مارس سكان بيشة الكثير من الفنون الشعبية، للتعبير عن أفراحهم في الأفراح والأعياد والأعراس والانتصارات والمناسبات العامة، ويختلف كل لون من هذه الألوان عن الآخر من حيث الاسم والسبب والأداء، ومن أهم هذه الفنون<sup>(٢)</sup> ما يلي:

**أ. العرضة:** من أشهر الفنون الشعبية في محافظة بيشة وفي منطقة عسير بشكل عام، يختص بأدائها الرجال دون النساء، ووقت أدائها من صلاة العصر إلى أذان المغرب، ثم يرجعون بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل.

**ب. السامر:** نوع من أنواع الألعاب الشعبية المشهورة في بيشة، ويقوم بأدائه صفاً متقابلان مع تشابك الأيدي والتصفيق بها وتحريك الأجسام، وترديد الأشعار التي يلقيها عليهم الشعراء. وهذا النوع ليس حكراً على الرجال بل يمارسه النساء أيضاً.

**ج. الخطوة:** هذه اللعبة ليست مشهورة كثيراً عند سكان بيشة، بل تمارسها بعض القبائل في بيشة وما حولها.

**د. القلطة:** نوع خاص بالرجال يقوم بها صفاً متقابلان من الرجال، يقف بينهما في الغالب شاعران ويقومان بتريدي بيت الشاعر عند إلقائه.

**هـ. الشعر الشعبي:** له مكانة خاصة عند سكان بيشة وعند كثير من المناطق، ويلقى في المجالس، والمناسبات العامة، والأفراح، والأمسيات الشعرية، ويحتوي على جميع أغراض الشعر مثل: المدح، والرثاء، والفخر، والغزل، والحنين، والهجاء.

وهذه الفنون تغيرت كثيراً عما كانت عليه في الماضي وبعضها تلاشى تماماً في وقتنا المعاصر، مثل: فن السامر، والخطوة، وبعضها أصبح يمارس بشكل قليل جداً مثل: العرضة والقلطة. ومما انتشر هذه الأيام بين الناس في الحفلات والمناسبات العامة ما

(١) أشكرك يا محمد بن جرمان على هذا السرد والتوثيق المختصر وكنت أتمنى أنك فصلت كثيراً في هذه الأعراف والعادات التي عاشها الآباء والأجداد، وانقرض أغلبها اليوم. كما أرجو أن نجمع وثائقها وأخبارها من بعض الرواة الذين مازالوا على قيد الحياة، ومن يفعل ذلك فإنه يحفظ لنا صفحات حضارية مشرقة عاشها الأوائل، ويجب أن نطلع أجيال اليوم والغد عليها. (ابن جريس).

(٢) عاصرت هذه الفنون الشعبية، وشاركت في بعضها لاعباً وشاعراً. (ابن جرمان).

يُعرف بالشيئات<sup>(١)</sup> وما يصاحبها من الرقصات والأغاني<sup>(٢)</sup> الدخيلة على مجتمعاتنا وقد انتشرت بكثرة عند الرجال والنساء، مع ما فيها من المحظورات الدينية، والقضاء على الفنون الأصيلة المتوارثة من الآباء والأجداد، والدعوة إلى التعصب القبلي والتفاخر بالأحساب والأنساب<sup>(٣)</sup>.

أما الألعاب الرياضية التي كان يمارسها الآباء والأجداد فكثيرة ومتنوعة ومنها: السباق، والسباحة، والرماية (رمي الشارة أو الهدف)، ولعبة المطارحة، ولعبة الخشيشا، ولعبة المقطار، ولعبة الصقلة، ولعبة اللسخ، ولعبة القب أو (الخرطمش)<sup>(٤)</sup>.

انقرضت هذه الألعاب مع نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وحل محلها ألعاب جديدة، مثل: لعبة الكرة بأنواعها، ولعبة التنس، والشطرنج، والكيرم، والضومنة، وبعض الألعاب الورقية مثل: الباصرة، والبيلوت، والجوكر، والسبيت، وأخيراً ظهرت الألعاب الالكترونية عن طريق الكمبيوتر والبلاي ستيشن والجوالات وغيرها:

### (\*) وإذا قارنا بين هذه الألعاب القديمة والمعاصرة فإننا نستنتج بعض الأمور:

**أ-:** كانت الألعاب القديمة عند الآباء والأجداد تهدف إلى التسلية والقضاء على وقت الفراغ، فلا تمارس إلا في أوقات محددة.

**ب-:** كان أكثر الألعاب يعتمد على الحركة والمهارة، مما يساعد على بناء العضلات، وكمال الأجسام، وتنمية العقول، والراحة النفسية، وتقوية العلاقات الاجتماعية.

**ج-:** الألعاب المعاصرة خصوصاً الالكترونية، لا تتطلب الحركة، وتؤدي إلى الخمول والكسل والانعزال والوحدة، والقلق النفسي، وأكثرها موجه لتدمير عقول الشباب، وتغيير قيمهم الاجتماعية، ومفاهيمهم الدينية<sup>(٥)</sup>.

(١) الشيئات أغنان شعبية دخيلة على مجتمعنا، وساعد على نشرها القنوات الفضائية التي تسجل الحفلات وتبثها، وكذلك وسائل التواصل الاجتماعي.. (ابن جرمان).

(٢) ظهر كثير من الأغاني والرقصات البعيدة عن قيمنا وعاداتنا تمارس في بعض حفلات الزواج تأثراً ببعض المغنيات، من قبل بعض الفتيات. (ابن جرمان).

(٣) بارك الله فيك يا ابن جرمان على رصد هذه العادات، وحيداً أنك توسعت في ذكر تفصيلات عن هذه الفنون الشعبية القديمة الجميلة التي مارسها الأوتل. وأمل من الجامعات المحلية أن تنشئ أقسام أو مراكز بحوث تهتم بجمع هذا الموروث الحضاري الأصيل، واطلاع أجيال اليوم عليه. أما حديثك عن الفنون الدخيلة على مجتمعنا، فهذه - وأيم الله - خطيرة على هويتنا العربية والإسلامية، كما أن فوائدها معدومة، وإن كان يرى من يمارسها أو يحضرها أنها تضيي جو المرح على النفس، لكنها تحمل في طياتها غزواً ثقافياً وفكرياً لعقول بناتنا وأبنائنا ونسائنا، وموروثنا القديم جميل لو قدم بطرق متطورة وعصرية، وهذا ما يجب على مؤسساتنا التربوية والثقافية فعله. (ابن جريس).

(٤) عاصرت هذه الألعاب في سن الطفولة، والشباب وشاركت فيها إلا لعبة اللسخ فإني لم أمارسها. (ابن جرمان).

(٥) يجب تحذير الشباب من بعض هذه الألعاب التي ظهر خطرها، فكثير ما نسمع بقصص الانتحار بين فئة الصغار بعد متابعة لعبة الحوت الأزرق، ومثيلاتها. (ابن جرمان).

## ٧. اللهجات المحلية:

يسكن محافظة بيشة كثير من القبائل العربية التي تعود في أصولها إلى القبائل القحطانية والعدنانية. ويوجد فيهم اليوم الحاضرة والبادية، ولهجاتهم وإن كانت اليوم تعتمد على العامية في بعض مصطلحاتها، إلا أنها في الغالب لهجات فصيحة، لأن سكان المنطقة من العرب الخالص الفصحاء الذين لم يغادروا بلادهم من العصر الجاهلي إلى اليوم، وأغلبهم ينتمي إلى أصول قبيلة خثعم القديمة. وهي من القبائل الفصيحة التي وردت بعض كلمات القرآن الكريم بلهجتها، واستشهد علماء اللغة وأصحاب المعاجم، بكثير من المفردات اللغوية والشواهد الشعرية التي تنسب لأبنائها مما يدل على فصاحتها. كما أشاد الهجري والهمداني<sup>(١)</sup>. بفصاحة بني خثعم وبني سلول وبلحارث وهم من سكان بيشة اليوم، وقال الهجري في خصوص بعض المفردات اللغوية لهذه القبائل دون غيرها "تدعو خثعم ونهد وبلحارث وجرم العضة جميع النباتات صغيرة وكبيرة"<sup>(٢)</sup>.

والمدقق في لهجات سكان محافظة بيشة يجد أن بينها فروقات بسيطة خصوصاً عند كبار السن، فاستمع إليهم يستطيع أن يميز بين هذه اللهجات من خلال نطق بعض الحروف ومخارج أصواتها، أما جيل اليوم فإن لهجتهم متشابهة إلى حد ما.

وهناك بعض الكلمات والمصطلحات التي تميز لهجات سكان بيشة بشكل عام مع أن هناك فروقات بسيطة بين لهجات بعض القبائل خصوصاً سكان المناطق الطرفية جهة الغرب والجنوب لتأثرهم بلهجة بعض القبائل المجاورة لهم. ومن هذه الظواهر اللغوية والكلمات ما يلي:

١. استخدام ظاهرة الكسكية وهي إبدال الكاف سيناً مشمومة بالتاء عند مخاطبة الأنثى، فيقال مثلاً في كلمة (علمتِك) (علمتس) وفي كيف (حالك) كيف (حالتس).

٢. استخدام الشنشنة وهي إبدال الكاف شيناً عند مخاطبة الأنثى، فيقال مثلاً: (أبوش) بدلاً من (أبوك). وكيف حالش بدلاً من كيف (حالك) وتقتصر هذه الظاهرة على بعض سكان وادي ترح من بلحارث المجاورين لرجال الحجر.

٣. قلب القاف جيماً في بعض الكلمات، وتقتصر هذه الظاهرة على بعض سكان وادي ترح، ولا تشمل بقية سكان بيشة ومن أمثلة ذلك قولهم (الجبلة) بدلاً من (القبلة)، وقولهم (مُجَبَل) بدلاً من مُقَبَل أي يسير باتجاه القبلة.

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكو، الرياض دار اليمامة (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ١٣٦، الهجري، هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر، تحقيق: حمد الجاسر، العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ١٤٨٢.

(٢) الهجري، المصدر السابق، ص ١١٩٧. (ابن جرمان).

٤. استخدام بعض الكلمات البديلة عن حروف وأسماء الاستقهاام، مثل: ويش  
تريد، وش قومك، علامك، ما وراك، وش بلاك.
٥. استخدام بعض الكلمات البديلة عن أسماء الإشارة أو الاختصار فيها ومن  
ذلك: الإكثار من استخدام اسم الإشارة للمذكر والمؤنث المفرد بدون هاء  
التنبيه، وهو استخدام فصيح ومثال ذلك: (ذا محمد، وذي فاطمة). وكذلك  
استخدام كلمات (ذولا، وذولاك) للجمع بدلا من (هؤلاء). وكلمة (إهنه) أو  
(هُنيا) بدلا من (هنا) للمكان.
٦. الإكثار من الجمل الاعترافية وسط الكلام بهدف الدعاء، للمخاطب مثل:  
اللَّهُ يحفظك، اللَّهُ يستر عليك، اللَّهُ يسلمك، ونحوها.
٧. تغيير بعض حروف الكلمة إلى حرف آخر، وقد يكون من التصحيف، ومثال  
ذلك (أنتو) بدلا من (أنتم).
٨. التخفيف وعدم نطق الهمزة، أو قلبها (ياءً أو ألف) في بعض الكلمات ومثال  
ذلك في التخفيف (ياكل، ويسال، ويسل) بدلا من (يأكل، ويسأل) ومثال ذلك  
في قلب الحرف (سَعَل) بدلا من (سأل) و(الهيعة) بدلا من (الهيئة)<sup>(١)</sup>.
٩. تفخيم بعض حروف الكلمة عند نطقها وهذا خاص ببعض سكان بيشة، ومثال  
ذلك تفخيم حرف التاء في كلمة (ثلاثة). وهناك الكثير من المفردات اللغوية  
التي تتميز بها اللهجات المحلية لسكان المنطقة، ونظرة لكثرتها لا نستطيع أن  
نذكرها في هذه العجالة.

### ثالثاً: الحياة الاقتصادية:

#### ١- الجمع والالتقاط:

مارس سكان محافظة بيشة رجالاً ونساءً عملية جمع الحطب من الشعاب وبطون  
الأودية من أجل طهي طعامهم وشرابهم، أو تدفئتهم في فصل الشتاء، أو إضاءة بيوتهم  
بشب النار ليلاً في مواقع مجالسهم وأماكن سمرهم، لأن الكهرباء في الزمن الماضي  
غير موجودة. ومارسوا عملية جمع الأعشاب وبعض النباتات والشجيرات الصغيرة،  
والحشائش من أجل إطعام حيواناتهم التي تخرج نهارة للمرعي. حيث يذهبون من  
الصباح الباكر إلى أماكن الرعي والبادية، ولا يعودون إلا مساء وهم يحملون على  
ظهورهم أو ظهور دوابهم ما جمعوه طيلة النهار، وبعضهم عند جفاف المراعي وقلة

(١) موضوع اللهجات في محافظة بيشة وشرق السروات من الطائف حتى بلاد قحطان موضوع مهم يستحق أن  
يدرس ويوثق في عدد من الكتب والبحوث. (ابن جريس).

الأمطار، يقوم بجمع هذب الأثل، وتقديمه لحيواناتهم، ويسمون ذلك (التهديب)، وبعضهم يقوم بجمع أشجار الوهط<sup>(١)</sup>. من البادية وحرق أغصانها وتشويطها بالنار، ثم تقديمها طعاماً للحيوانات خصوصاً الإبل ويسمى ذلك (التوهيط).

مارس أهل بيشة صغاراً وكباراً عملية لقط التمور في فصل الخريف، فكل أسرة تقوم يومياً بمتابعة مزرعتها ولقط تمورها الساقطة على الأرض، خصوصاً بعد هبوب الرياح، وإذا جاء وقت الصرام يسمونه (القطيع) أي قطع عذوق التمر، فإن الأسرة بكامل أفرادها يتعاونون ويقومون بصرم وجمع تمور النخيل. وإذا احتاجوا إلى المساعدة فإنهم يستعينون بجيرانهم أو بعض جماعتهم ويسمون ذلك (المؤانة) وجرت العادة بينهم أنهم يتعاونون في حفر الآبار، وعمل الزرائب<sup>(٢)</sup>، وحصاد الحبوب وصرام النخيل وغيرها من الأمور التي تتطلب المساعدة من الآخرين. ومن العادات الحسنة التي كان يمارسها أهل بيشة أثناء صرام النخيل ما يسمى (بالحوافة)، وهي صورة من صور التكافل الاجتماعي، حيث جرت العادة أن كثيراً من الناس الذين لا يملكون مزارع النخيل، إذا جاء موسم التمر ينتشرون بين أصحاب المزارع طلباً لفضل الله، فيعطيهم أصحاب النخيل من التمر عن طيب خاطر، وسماحة نفس، ولا يعدون ذلك من الصدقة<sup>(٣)</sup>.

كانت هذه الأعمال تمارس إلى العقود المتأخرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، أما في وقتنا الحاضر فقد انتهت وتلاشت بفضل الخير التي تتعم به بلادنا من وسائل الرفاهية والتقدم. فأصبحت الأعلاف والحبوب في كل مكان. ولم يعد هناك حاجة لجمع هذه النباتات والحشائش، وأصبحت الكهرباء في كل بيت وقرية، وتوفرت وسائل الإنارة والتدفئة والطهي الحديثة. وإن كان هناك من يمارس عملية جمع الحطب في عصرنا الحالي فإن ذلك من باب التجارة والبيع والشراء، وليس من باب الحاجة والمهنة. أما عملية جمع التمور وصرمها وسقاية المزارع فقد تحولت للعمالة الوافدة، وأصبحت الأسرة السعودية لا تقوم إلا بالإشراف والمتابعة وهذا من فضل الله تعالى على هذه البلاد وأهلها.

## ٢- الرعي والصيد:

حرفة الرعي من الحرف التي مارسها سكان محافظة بيشة منذ القدم، فأكثرهم بادية يعتمدون في حياتهم على تربية الحيوانات مثل الإبل والضأن والماعز، وينتقلون

(١) الوهط شجرة برية شائكة (ابن جرمان).

(٢) الزريبة أو الخزة هي: سور من الجريد يعمل بطريقة الحصر، وتحاط به المزرعة قديماً مثل السور الذي يعمل هذه الأيام من الشبك أو الجدار الذي يبنى من الحجر أو البلك. من المسميات القديمة للأراضي الزراعية (البلاد، الزريبة، الخريق، المزرعة). (ابن جرمان).

(٣) عادات تعاون بين الناس وتكاثرهم في الزراعة وغيرها من الحرف والمهن موضوعات جديدة، تستحق أن تدرس دراسات علمية في عدد من البحوث التوثيقية. (ابن جريس).

بها من مكان إلى مكان، تبعاً لمساقط الأمطار، ومنابت العشب والمرعى، وكان الرعاة ينطلقون إلى المراعي بهذه الحيوانات من الصباح الباكر ولا يعودون بها إلى المساء. والأغنياء من أصحاب هذه المواشي يستأجرون بعض الرعاة مقابل أجر بسيط. ومع بداية القرن (١٥هـ/٢١م) اتجه الناس إلى حياة الاستقرار والتحضر، وأصبحت حرفة الرعي قليلة، وأصبح الرعاة من العمالة الوافدة من خارج البلاد.

أما حرفة الصيد: فقد عرفت بالمنطقة منذ القدم نظراً لخصوبة أرض بيشة، وكثرة غاباتها وجبالها وسهولها، ولأنها متنوعة المناخ والطبيعة الجغرافية، فقد كثرت فيها الحيوانات البرية التي تصلح للصيد، وكان بعض السكان يعتمد على حرفة الصيد لسببين: الأول: الحاجة إلى الطعام فقد كان البدوي في الصحراء لا يجد طعاماً يأكل منه إلا ما يصطاده من صيد البر. أما الثاني: فهو الهواية وحب الصيد، فكان الرجل يذهب مع طلوع الفجر إلى أماكن الصيد، متقلداً بندقيته أو مصطحباً معه كلب صيد، وليس هناك وقت محدد للصيد، لكن أفضل أوقات الصيد مع طلوع الشمس نظراً لخروج الطباء من مخابئها، وأدى كثرة صيد هذه الحيوانات من قبل أهل هذه البلاد إلى انقراضها، وهجرة بعضها إلى المناطق المجاورة. ومع بداية القرن (١٥هـ/٢١م) تغيرت النظرة إلى حرفة الصيد، وأصبح الصيد يمارس كهواية فقط، وذلك لسببين: الأول: عدم حاجة الناس للصيد لكثرة الطعام في البيوت والأسواق. والثاني: صعوبة الحصول على الصيد، خصوصاً الطباء، وما يصاحب ذلك من المشقة والتعب والسير على الأقدام مسافات طويلة. ومن الحيوانات والطيور التي كانت تصاد في محافظة بيشة ولا يزال بعضها إلى الوقت الحاضر موجوداً في المنطقة ما يلي: (١) الطباء، والوعول، وقد انقرضت. (٢) الوبران، الأرناب، اليرابيع. (٣) ومن الطيور: الحبارى، والحمام، الحجل، القطا.

ومن أدوات الصيد المستخدمة قديماً وحديثاً: (١) الأسلحة النارية مثل: بنادق الرصاص والبارود. (٢) بعض الحيل والخدع: مثل وضع الحفر في طريق الحيوانات وتغطيتها بالقش والأخشاب. (٣) استخدام بعض الأدوات المحلية مثل: المرجامة، والمحبالة لاصطياد الطيور. (٤) استخدام كلاب الصيد: نوع من فصيلة الكلاب تعرف (بالسلوقي) يصاد به الغزلان والأرناب. (٥) استخدام السيارات: لمطاردة الأرناب بالسيارة ليلاً أو نهاراً حتى إمساكها أو رميها<sup>(١)</sup>.

(١) محافظة بيشة يغلب عليها حياة الريف والبدوة قديماً، وكانت من البلاد الغنية لممارسة الرعي والصيد. بل عموم شرق السروات من ظهران الجنوب وقحطان إلى الطائف كانت ومازالت غنية بغطائها النباتي، وتنوع جبالها، وأدويتها، وحزونها وهضابها. ومن البلاد الصالحة لمهنة الرعي، ويوجد فيها أنواع الطيور والحيوانات البرية. والوضع نفسه ينطبق على سفوح السروات الغربية، المعروفة بأسم (الأصدار) فهي مليئة بالأشجار والنباتات، وكذلك الكائنات الحية المتنوعة في أسمائها وفصائلها، وأحجامها. (ابن جريس).

### ٣. الزراعة:

تعد الزراعة من الحرف الرئيسية عند سكان محافظة بيشة، وساعد على نموها واستمرارها عبر الأجيال ما تتمتع به المنطقة من وفرة المياه، وخصوبة التربة، وتميز الموقع الجغرافي وتنوعه. وتعتمد الزراعة في بيشة قديماً على بعض الأدوات الزراعية القديمة كالمحراث الخشبي التي تجره البهائم لحرث الأرض، و(الغرب) الذي تجره الجمال لإخراج الماء من الآبار، وبعض الأدوات لحفر الأرض والقلع والصرم والتسوية مثل: المسحاة والعنلة والمقلاع، والمقصب، كانت المساحة المزروعة في المزارع صغيرة لتسهل متابعتها وسقايتها والإشراف عليها. والمزارع وأفراد أسرته هم من يقومون بخدمة مزارعهم وسقايتها وحصاد منتوجاتها. ومع بداية الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري، تطورت الزراعة في بيشة تطوراً كبيراً وزادت مساحات الأراضي المزروعة. وساعد على ذلك اهتمام الدولة بالمجال الزراعي، وتشجيع المزارعين، ومنحهم الأراضي والقروض الزراعية، ودعمهم بالمعدات والآلات الحديثة، وإعطاءهم الأسمدة والمبيدات الحشرية بالمجان.

**وقد ترتب على ذلك عدة أمور:** (أ) : كثرة الإنتاج الزراعي في محافظة بيشة وحصول الاكتفاء الذاتي من التمور وبعض المنتجات الزراعية الأخرى، وتصدير الفائض إلى أسواق المناطق المجاورة. (ب) : الزيادة في أعداد المزارع، والمساحات المزروعة. (ج) : نزوح كثير من سكان المناطق المجاورة إلى محافظة بيشة بهدف تملك الأراضي الزراعية عن طريق المنح الحكومية أو الشراء. وكان نتيجة هذا التوسع الزراعي، والهدر المائي استنزاف المياه الجوفية وإصابة المنطقة بالجفاف. لأن مصادر المياه في بيشة محدودة، فهي تعتمد على المياه الجوفية السطحية التي تغذيها السيول بعد سقوط الأمطار، إضافة إلى أن أسلوب الري المتبع في بيشة قديماً هو أسلوب الري بالغمر، وهو يساعد على هدر المياه، وفي وقتنا الحاضر ظهر إلى جانب الري بالغمر، الري بالرش، والري بالتنقيط، وهما يساعدان على توفير المياه نوع ما.

### (\*) أما أهم المحاصيل الزراعية فهي:

١- **التمر:** يعد المحصول الرئيسي في مدينة بيشة، ويحتل النخيل مساحة واسعة من الأرض المزروعة، وتكثر أنواع التمور في بيشة إلا أن أهمها: (١) الصفري. (٢) البرني. (٣) الشكل. (٤) المقزبي. (٥) البرناوي. (٦) السري. (٧) القسب بأنواعه. (٨) الدقل بأنواعه. ٢- **الحبوب:** القمح، الشعير، الذرة، الحبش. ٣- **الخضروات:** الطماطم - البصل، الثوم، البامية، الكراث، البقدونس، الفاصولياء، الجرجير، الفجل، الخيار، الفلفل. ٤- **الفواكه:** العنب، الرمان، البرتقال، الجوافة، اليوسفي، الليمون، الحبيب، الشمام.

وإذا قارنا بين الزراعة قديماً والزراعة في وقتنا الحاضر فإننا نجد الفرق شاسعاً والاختلافات كثيرة وسنذكر هذه الفروقات والاختلافات على النحو التالي : (أ) كانت الزراعة قديماً تعتمد على أدوات يدوية محلية، أما اليوم فالزراعة تعتمد على أدوات كهربائية وتقنية عالية الجودة مثل آلات الحرث والصرم والفرز والرش والقطع، وآلات استخراج الماء من الآبار العميقة. (ب) كانت المزارع القديمة صغيرة المساحة، وبعضها مقسم عدة أقسام حيث يشترك فيها أكثر من شخص بسبب الإرث لأنها مزارع جديية أي متوارثة من الآباء والأجداد، أما مزارع اليوم فإنها كبيرة المساحة والغالب في ملكيتها أنها عن طريق الشراء أو المنح أو الإحياء الشرعي. (ج) المزارع قديماً لا تكلف مادياً لصغر المساحة المزروعة وكان إنتاج المزارع يكفي لسد احتياج الأسرة، والفائض يصدّر إلى الأسواق المجاورة، فقد كان الإنتاج قليلاً والبركة كثيرة. أما الزراعة اليوم فإنها مكلفة مادياً لكبر المساحة المزروعة من المزرعة، ولكثرة استخدام الأسمدة، ورش المبيدات الحشرية، وارتفاع أجور العمال، ورغم كثافة الإنتاج، وكثرة المحاصيل الزراعية، فإن جودة الإنتاج ضعيفة والبركة قليلة، فأكثر ملاك المزارع اليوم لا يستفيدون من مزارعهم، وإنتاج مزارعهم لا يغطي مصاريفهم. (د) المزارعون في الماضي يعتمدون على أنفسهم وأفراد أسرهم في القيام بأمور الزراعة من الحرث والبذر والغرس والسقيا والحصاد وجمع الثمار، أما اليوم فإن الاعتماد في أمور الزراعة على العمالة الوافدة من الدول العربية والإسلامية. (هـ) كانت الزراعة في الماضي هي المهنة الرئيسية عند سكان بيشة، ويعتمدون عليها بعد الله في توفير غذائهم وغذاء حيواناتهم، ورفع مستوى حياتهم الاقتصادية والاجتماعية. أما اليوم فإن الأجيال الناشئة، لا تعي أهمية مهنة الزراعة لكثرة مزاحمة المهن الأخرى لها، ولا اعتماد المجتمع على الكثير من المنتجات الزراعية المستوردة من الخارج.

والحقيقة أن الزراعة في محافظة بيشة شهدت تطوراً كبيراً واهتماماً واضحاً من قبل الدولة، ومن المزارعين أنفسهم من بداية التسعينيات من القرن الماضي إلى نهاية العشرينيات من القرن المعاصر، ثم توقف هذا التطور والاهتمام، وساعد على ذلك موجة الجفاف التي ضربت المنطقة بسبب قلة الأمطار الموسمية، وعدم جريان السيول التي تغذي مياه الآبار. ومن يتجول في بداية العصر الحاضر في أرجاء محافظة بيشة سيرى مئات المزارع والبساتين الخضراء الممتدة على ضفاف وادي بيشة وفروعه. تبالة وهرجاب وترج - وعلى وادي رنية، أما اليوم فإن معظم هذه المزارع أصبحت خاوية على عروشها، وأكثر هذه البساتين والمسطحات الخضراء أصبحت أراضٍ جرداء، وبعضها خصوصاً القريب من مركز المدينة تحول إلى مخططات سكنية، ممّا يدل على تراجع الاهتمام بأمور الزراعة، عكس ما كانت عليه في الزمن الماضي<sup>(١)</sup>.

(١) لقد زرت حاضرة بيشة في التسعينيات، وشاهدت قراها المتواضعة، ومزارعها الكثيرة الخضراء، ثم زرتها

#### ٤- بعض الصناعات اليدوية:

مجتمع بيشة مجتمع قبلي لا يشجع على الصناعات بأنواعها لذلك لم تنتشر الصناعة في محافظة بيشة قديماً وكان اعتماد السكان على شراء ما يجلب من الأسواق المجاورة من أدوات الصناعة إلا أن هناك بعض الصناعات المحدودة القائمة على الخامات البيئية المتوفرة مثل: الصناعات السعفية والجلدية التي لم تصنع من بعض فئات المجتمع ومن ذلك: (أ) الصناعات السعفية: الخصاف، والمطحن، والمخرف، والمحفرة، والسفرة، والمنشرة، والمهفة. (ب) الصناعات الجلدية: الغرب، والعبية، والسعن، والعكة، والقطف، والجراب، والزمالة. (ج) بعض المنسوجات: بيوت الشعر، والغرارة وهي من أنواع الأغطية وتصنع من الصوف. هذه أهم الصناعات الموجودة في بيشة قديماً، أما اليوم فإن التكنولوجيا والتقنية الحديثة ألغت جميع الصناعات اليدوية القديمة، وأصبحت الصناعات الحديثة هي المستخدمة عند الجميع، ولا يختلف مجتمع محافظة بيشة في استخدام هذه المصنوعات الحديثة عن أي مجتمع آخر.

#### ٥- التجارة:

تحتل التجارة المرتبة الثانية في نفوس سكان بيشة بعد الزراعة، وشجع على مزاوله التجارة في بيشة توفر بعض المقومات التجارية والاقتصادية مثل: أهمية موقع بيشة الجغرافي، وكثرة الأسواق المحلية التي تمارس فيها التجارة، وكثرة السلع والصادرات والواردات الهامة<sup>(١)</sup>.

#### أ- أهمية موقع بيشة:

تقع بيشة في نقطة الوسط بين نجد والحجاز وعسير، فهي ملتقى الطرق البرية القديمة والحديثة المتجه من اليمن وعمان ووادي الدواسر، وعسير والحجاز ونجد، كانت هذه الطرق في الماضي وعرة وغير معبدة، أما اليوم فأصبحت سهلة ومختصرة ومسفلتة، فهذا الموقع المتميز شجع على انتشار التجارة قديماً وحديثاً، وتبادل المنتجات التجارية بين سكان محافظة بيشة وسكان هذه البلدان.

في بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) وما زال الكثير من مزارعها خضراء ومثمرة. وأخيراً زرت معظم محافظة بيشة فرأيت الكثير من نخلها مهجوراً ومندثراً، بل إن كثيراً من المزارع صارت يابسة، وأراضيها تحولت إلى خراب. وتاريخ الزراعة في بيشة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر موضوع حضاري جديد يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علياً في أحد قسيمي التاريخ بجامعة الملك خالد، أو بيشة. (ابن جريس).

(١) تاريخ التجارة في بيشة خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع جيد فيصدر عنه كتاب علمي توثيقي. وبلاد بيشة استراحة تجارية منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المختلفة. (ابن جريس).

## ب- الأسواق؛

لا أحد ينكر ما للأسواق من أهمية كبرى في إنعاش الحياة التجارية والاقتصادية. ومحافظة بيشة تتميز بكثرة أسواقها الأسبوعية، وكان قديماً لكل بلدة أو قبيلة سوق تحافظ عليها وتقوم بحمايته ولديها قوانين ونظم لتنظيم ذلك، لأن السوق مجمع بشري، وأحياناً يحصل فيه بعض المنازعات والاختلافات، فلا بد ممن يقوم بالإشراف على أموره وتنظيمه، وغالباً يكون شيخ البلدة أو القبيلة التي يقع فيها مكان السوق. ومن أهم الأسواق الأسبوعية المنتشرة في محافظة بيشة قديماً وحديثاً ما يلي:

**١- سوق نمران؛** يقام في (نمران) في كل يوم خميس من الصباح الباكر حتى المغرب، وهو من أقدم الأسواق وأكبرها، ولا يزال مستمرًا حتى اليوم، وذكره كثير من الباحثين والمستشرقين الذين زاروا مدينة بيشة. **٢- سوق الروشن؛** وسط مدينة بيشة ويسمى أحياناً سوق الربوع، وهو من أقدم الأسواق وأكبرها، وذكره بعض الباحثين والمستشرقين الذين زاروا مدينة بيشة، ويعقد يوم الأربعاء من بعد صلاة العصر حتى المغرب، أما الآن فيقام يومياً لاتساع العمران وكثرة المحلات التجارية في مكانه<sup>(١)</sup>. **٣- سوق الجينية؛** الجينية تصغير جنة، وتقع في أسفل وادي بيشة ويقام فيها السوق كل يوم جمعة من الصباح الباكر إلى غروب الشمس، وهو مهم جداً لموقعه بين الحاضرة والبادية، وتباع فيه الفواكه والخضار، والتمور، والحبوب، والأعلاف، والأغنام، والجمال وغيرها.

**٤- سوق تبالة؛** يقع على طريق سبت العلية بيشة ويعقد هذا السوق يومي الجمعة والسبت، من الصباح إلى قرب العصر وتجلب إليه جميع البضائع والأقمشة، والأعلاف والحبوب والأغنام والجمال. **٥- سوق رنية الجعية؛** من الأسواق الحديثة ويقام كل يوم جمعة وتجلب إليه جميع المنتجات الزراعية والأقمشة والبضائع الأخرى والأغنام والجمال والأبقار. **٦- سوق النقيع؛** على طريق بيشة رنية، ويتميز بموقع فريد، لتوسطه بين البادية والحاضرة، ولسعة موقعه، ويقام يوم الخميس وتجلب إليه جميع الأقمشة والبضائع والحبوب والأعلاف والأغنام والجمال والأبقار وغيرها. **٧- سوق الحازمي؛** سوق قديم يقام يوم الاثنين في قرية الحازمي وتجلب إليه الأغنام وبعض المنتجات المحلية. **٨- سوق صمخ؛** على طريق الخميس بيشة في قرية صمخ يعقد يوم الاثنين. وتجلب إليه جميع المنتجات الزراعية والأعلاف والأقمشة والبضائع الأخرى، والأغنام

(١) زرت سوق نمران والروشن عندما كان عمري (١٦) عاماً في تسعينيات القرن (١٤/٢٠هـ)، وشاهدت نشاطهما التجاري الكبير، يرتادهما المتسوقون والتجار من سروات الحجر، وبلاد قحطان وشهران ومن قبائل السبعان في رنية. وكان يباع فيهما الكثير من السلع المحلية ومعظمها: التمور، والحيوانات ومشتقاتها، والحبوب، وبعض المصنوعات المحلية. وهذان السوقان ورد ذكرهما كثيراً في كتب الرحالة الغربيين الذين زاروا بيشة خلال القرنين (١٢/١٤هـ-٢٠/٢٠م)، وهما يستحقان أن يصدر عنهما دراستان مطولتان مدعومتان بالصور الفوتوغرافية والوثائق التاريخية. (ابن جريس).

والجمال والأبقار. ٩- سوق الحفيرة: في قرية الحفيرة، ويقام يومي الاثنين والخميس، وتجلب إليه جميع المنتجات الزراعية والأعلاف والأقمشة والبضائع الأخرى، والأغنام والجمال. ١٠- سوق الثنية: على طريق الثنية الجعبة ويعقد يوم الثلاثاء، وهو من أهم الأسواق، ويجلب إليه جميع المنتجات الحديثة. والأعلاف والحبوب، والأغنام والجمال وغيرها. ١١- سوق العطف والديلمي: على طريق رنية بيشة، يقام يوم الأربعاء وهو من أكبر الأسواق الحديثة، ويجلب إليه جميع المنتجات الحديثة. والأعلاف والحبوب، والأغنام والجمال وغيرها. ١٢- سوق القوباء: يقع في القوباء ويعقد يوم الخميس، وتجلب إليه جميع المنتجات الزراعية والأعلاف والأقمشة والبضائع الأخرى، والأغنام والجمال.

هذه الأسواق الأسبوعية، أما الأسواق اليومية والمجمعات التجارية والمولات فإن الزائر لمحافظة بيشة في وقتنا الحاضر سيجد عشرات الأسواق والمجمعات التجارية ويغلب على بعضها التخصص في بيع نوع من الأنواع والأصناف ومنها: محلات الأقمشة الرجالية، ومحلات الأقمشة النسائية مثل: ماكس، وهيبر ماكس، وفنون الأنسجة، وجاكلين باريس، وواحة الجلايبات. ومحلات الملابس الجاهزة مثل: سوق الربوع، والفيوم، وصدف، وملحان مول. وأسواق العطور وأدوات الزينة، وأسواق المواد الغذائية<sup>(١)</sup>، والأسواق الشعبية مثل: سوق الخالدية. وأسواق الجوالا، مثل: أسواق العزيزية، وأسواق الأثاث والمواد المنزلية كسوق دبي، وسوق ابن شيهون، وأسواق الذهب والمجوهرات. وأسواق الخضار والفواكه، وبعض المجمعات التجارية الكبيرة التي تحتوي على العديد من الأنواع والأصناف كأسواق العثيم، وأسواق بنده، وأسواق الراية، وأسواق توب سنتر، وأسواق تواليب مول. وبعض الأسواق الموسمية مثل: سوق التمور في بيشة ويصاحبه بعض الفعاليات والمهرجانات مثل: مهرجان الصفري. ومن الأسواق اليومية للمواشي والأعلاف داخل المحافظة سوق الشهلاء بجوار الصناعية. أما العاملون في هذه الأسواق فهم من جنسيات متعددة عربية وغير عربية، وفي السنوات الأخيرة وبعد تطبيق نظام السعودية من قبل الدولة على المحلات التجارية، أصبح معظم العاملين فيها من السعوديين رجالاً ونساءً.

### ج. السلع، الأسعار، التعاملات التجارية:

كانت السلع المعروضة في الأسواق قديماً قليلة لضعف الحالة الاقتصادية، وضعف الإنتاج المحلي، ولصعوبة المواصلات بين المدن والقرى، أما اليوم فإن التطور الحضاري الذي تشهده البلاد أدى إلى اتساع شبكة الطرق، وتم ربط أكثر المدن مع بعضها، فتوفرت

(١) هذه الأسواق كثيرة ومنتشرة في أنحاء المحافظة، وعلى الشوارع والطرق العامة ومن الصعب حصرها لكثرتها. (ابن جرمان). بهذا أن نرى مؤرخاً جاداً يدرس تاريخ أسواق بيشة القديمة والحديثة مع إجراء عمل علمي مقارن بينها. (ابن جريس).

السلع والبضائع في الأسواق، والمحلات التجارية من داخل البلاد وخارجها، وأصبح من الصعوبة حصر جميع السلع المعروضة في الأسواق لكثرتها وتنوع أشكالها وأصنافها.

أما الأسعار فموضوع واسع، ومن الصعب حصرها أو تحديدها لأنها متغيرة حسب الظروف الاقتصادية وكانت في الثمانينيات والتسعينيات، ونهاية القرن الرابع عشر الهجري متوسطة، فالأراضي الزراعية والسكنية رغم أنها تخضع للمساحة وأهمية الموقع وبعده عن مركز المدينة إلا أنها كانت متدرجة وأسعارها في الغالب من خمسين ألف إلى ثلاثمائة ألف، وقد تزيد وتنقص حسب العرض والطلب. أما أسعار السلع والأدوات المنزلية، والأطعمة والأشربة فمن الصعب تحديد أسعارها لكثرتها وتنوعها وعدم ثبات أسعارها. أما في القرن الخامس عشر الهجري فقد زادت رواتب وأجور موظفي الدولة، وترتب على ذلك تضاعف الأسعار وزيادتها في جميع المجالات، خصوصاً في الأربعينيات من هذا القرن فقد صاحب زيادة الأسعار فرض ضريبة المبيعات وضريبة القيمة المضافة، فتضاعفت الأسعار تضاعفاً كبيراً. ومن أمثلة ذلك: أسعار الأراضي السكنية والزراعية تختلف حسب مساحتها وموقعها فالأراضي السكنية خارج المدينة تتراوح أسعارها من (١٠٠ ألف - ٣٠٠ ألف) وداخل المدينة تتراوح أسعارها من (٢٠٠ ألف إلى ملايين) حسب المساحة والموقع، أما الأراضي الزراعية فخارج المدينة تتراوح أسعارها من (١٥٠ ألف إلى ٥٠٠ ألف)، أما أسعار الحيوانات فحسب أنواعها وأعمارها وأحجامها، فالإبل العادية من (٤٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠) أما المزاين فتختلف أسعارها حسب الألوان والمواصفات. أما الأبقار فأسعارها من (٣٥٠٠ - ٨٠٠٠)، والضأن والماعز من (٩٠٠ - ١٩٠٠). أما أسعار الملابس والمواد الغذائية والمنزلية فكثيرة ومن الصعب حصر أسعارها ولكنها في الغالب لا تختلف عن أسعار السلع المعروضة في المدن الأخرى لأن أغلبها مستورد من الخارج.

أما التعاملات التجارية التي تجرى في الأسواق ففي الماضي كان البيع بالنقد حاضراً أو أجلاً، وبالمقايضة وكانت المقايضة هي السائدة بين التجار وعامة الناس لندرة النقود، والتعاملات في العهد السعودي بالعملة السعودية، وتتكون من فئات القرش والريال والجنيه السعودي، ثم تطورت إلى العملات الورقية وأصبحت تتكون من الريال والخمسة والعشرة والخمسين والمائة والخمسمائة.

أما الأوزان فكانوا قبل ظهور (الكيلو جرام) يزنون الأشياء الجافة بما يسمى بالرطل، والأقة، والدرهم، وكيلون الحبوب وأشباهاها بالمد ويساوي (٦) نصفات، والنصفة: وهي أقل وزناً من الزبيري. والصاع: ويساوي مدين، والفرق: ويساوي (٦) أصواع، والزبيري: ويساوي نصفين.

أما أدوات القياس: فكان أهل هذه البلاد قبل ظهور المتر يعتمدون في قياس مزارعهم وأقمشتهم على بعض المقاييس المحلية مثل: الذراع، والباع، والقدم، والخطوة، والهنداسة، أما الآبار فيقيسون طولها بالقافة: وتساوي طول الرجل واقفاً، والقعدة وتساوي طول الرجل جالساً<sup>(١)</sup>.

### رابعاً: الخاتمة (النتائج والتوصيات):

خرجنا من خلال استعراضنا للحياة الاجتماعية والاقتصادية بالعديد من الرؤى والنتائج والتوصيات التي نذكرها في النقاط التالية:

١. تحظى محافظة بيشة بمكانة تاريخية واستراتيجية وتجارية، لكونها قديماً إحدى المحطات التجارية الواقعة على طريق البخور التجاري، بالإضافة إلى توسط موقعها بين بلدان السراة والحجاز ونجد واعتبارها نقطة عبور والتقاء لكثير من الطرق التجارية الداخلية بين هذه المناطق، وهذا يدل على وجود التواصل الحضاري واستمرار النشاط الاقتصادي بين سكان هذه المحافظة والبلدان الأخرى. فهذا الجانب يحتاج إلى مزيد من الدراسة البحثية لمعرفة التواصل الحضاري والثقافي بين سكان بيشة وسكان المناطق المجاورة خلال العصور الإسلامية والوسيطة فحبذا لو تصدى أحد الباحثين لدراسة هذا الموضوع الهام<sup>(٢)</sup>.

٢. كانت الزراعة قديماً عند سكان محافظة بيشة تحتل المرتبة الأولى بين المهن الكثيرة التي كان يمارسها السكان. لاعتماد كثير منهم في حياته على ما تنتجه هذه المهنة أما اليوم فقد تراجعت هذه المرتبة عند أهل بيشة بسبب مزاحمة المهن الأخرى والوظائف الحكومية، التي أنستهم أهمية الزراعة خصوصاً فئة الشباب الذين لم يعاصروا حياة الجوع والفقر، وترتب على ذلك جهل كثير من الشباب بموروثهم الزراعي، وضياع كثير من المسميات والأدوات الزراعية القديمة.

٣. تحتوي محافظة بيشة على عشرات المواقع التراثية مثل: القرى القديمة، والحصون، والقلاع والقصور الأثرية، والآبار والمقابر القديمة، وغيرها وما زال كثير من هذه المواقع التراثية بحالة جيدة، لكنه في طريقه إلى الدمار والخراب،

(١) أشرت يا ابن جرمان إلى موضوعات حضارية مهمة، ونأمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين في جامعة بيشة فيدرسون الحياة الاقتصادية في محافظة بيشة دراسة علمية موسعة وموثقة. (ابن جريس).

(٢) أضرم صوتي إلى صوتك يا أستاذ محمد أرجو أن نرى إحدى طالباتنا أو أحد طلابنا في أقسام التاريخ بجامعة الملك خالد، أو بيشة، أو الباحة فيدرس هذا الموضوع خلال القرنين (١٤٠١هـ/٢٠١٩م) في رسالة لدرجة الماجستير أو الدكتوراه. (ابن جريس).

والواجب علينا جميعاً حماية هذه المواقع وعدم إزالتها لاستغلال مكانها، وعلى الجهات الرسمية المسؤولة عن التراث الوطني صيانتها وترميمها واستغلالها سياحياً واقتصادياً.

٤. يوجد في محافظة بيشة الكثير من الفنون الشعبية والألعاب الرياضية، وكثير من هذه الفنون والألعاب الرياضية تلاشت وانتهت مع الأجيال الماضية وأصبح جيل الحاضر لا يعرف عنها شيئاً فحبذا لو تصدى أحد الباحثين من أبناء محافظة بيشة لدراسة هذا الموضوع دراسة توثيقية تاريخية.

٥. غالبية سكان محافظة بيشة من القبائل العربية القحطانية والعدنانية، ويشتهرون بالفصاحة من العصر الجاهلي، ولكل قبيلة من هذه القبائل لهجة محلية خاصة بها، وهذه اللهجات تحتوي على الكثير من المفردات والتراكيب والظواهر اللغوية الفصيحة، وهي جديرة بالدراسة اللغوية من قبل الأقسام الأكاديمية ومراكز البحوث العلمية في جامعاتنا السعودية<sup>(١)</sup>.

(١) أحسنت يا ابن جرمان فقد طرحت موضوعاً حضارياً مهماً عن بلاد عريقة في تاريخها وتراثها وموروثها وحضارتها، وفيها اليوم جامعة حكومية يعمل فيها الكثير من الأساتذة الأكاديميين في مجالات عديدة. ومسؤولية هذه المؤسسة التعليمية العالية كبيرة تجاه الأرض والسكان في محافظة بيشة، ومن أهم واجباتها خدمة البحث العلمي الذي يعود بالفائدة الإيجابية على هذه الأوطان الثرية بمخزونها التراثي والحضاري. أمل أن تنشئ هذه الجامعة مركز أبحاث متخصص يهتم بكل الجوانب الحضارية المدونة في هذه الدراسة. (ابن جريس).